

تَارِيخُ شُعْرَاءِ الْعَرَبِيَّةِ

المتنبي

العصرُ
العبَّاسي
الشماني



مراجعة

أحمد عبد الله فرهود

اعداد

الدكتور محمد حسني مصطفى

جميع الحقوق محفوظة لدار الفكر العربي بحلب ولا يجوز إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه
أو طباعته ونسخه أو تسجيله إلا بإذن مكتوب من الناشر .



منشورات

دار القلم العربي بحلب

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

عنوان الدار

سورية - حلب - خلف الفندق السياحي

شارع هدى الشعراوي

هاتف : ٢٢١٣١٢٩ ص.ب. : ٧٨ / فاكس : ٢٢١٣٣٦١ - ٢١ - ٠٠٩٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

بين المتنبي وأبي تمام

من يقف عند الخصائص الفنية لأبي تمام ويتبين معالم المدرسة الأدبية التي يصدر عنها ، ثم ينتقل إلى دراسة المتنبي ، فإنه لن يجد مزيداً عناء في استكشاف سماته الفنية ، لأن أبا الطيب هو ثاني اثنين رفعا من شأن تلك المدرسة نفسها ، وكان المتنبي شديد الإعجاب بأبي تمام ، وانحاز له في المعركة التي ثارت بين النقاد في التفضيل بين الطائفتين ، وكان يقول : أنا وأبو تمام حكيمان ، والشاعر البحري . وهي عبارة رددها فيما بعد أبو العلاء المعري .

وإضافة إلى تشابه ذنك الشاعرين في الملامح الفنية ، ترى ثلثي ديوان كل منهما في المدح ، وكل قد حاز شمائل الرجولة ، وضرب في أرجاء الأرض ، وشارك في أحداث يثته ، وبز شعراء عصره ، وعشيق المجد .

ولادته ونشأته

ولد المتنبي (أحمد بن الحسين) في الكوفة سنة (٣٠٣ هـ) ، ووجه منذ نعومة أظافره إلى الثقافة ، فنهل من منابعها غزواً متنوعة المذاق . ولما يقع حاضراً في فتنه قيل إنها فتنه سياسية ، وقيل هي بدعة عقديّة ، وأياً ما كانت فقد انتهت بحبسه في حمص ، لمدة ستين ، ثم أفرج عنه .

إعجابه بنفسه

صار المتني يحسّ منذ وقت مبكّر من حياته بغير قليل من الإعجاب بنفسه ، وهو إعجاب جعله يتخيّل أنّه ليس له شبيهة ، لا في فروسيّة ولا فضل ، فهو الذي يشرف به قومه ، وإن كانوا أولي سبّتي ، وهو في نظره الإنسان الأكمل :

ما مقامي بأرض نخلة إلّا	كمقام المسيح بين اليهود ^(١)
مقرّمي صهوة الحصان ولكنّ	قميصي مسرودة من حديد ^(٢)
لأمة فاضة أضاة دلاص	أحكمت نمنجها يدا داود ^(٣)
عش عزيزاً أو مت وأنت كريم	بين طعن القنا وخفق البنود ^(٤)
لا بقومي شرفت بل شرفوا بي	وينفسي فخرت لا بجدوي
وبهم فخر كل من نطق الضاد	وعوذ الجاني وغوث الطريد ^(٥)
إن أكنّ مغعّباً فعجب عجب	لم يجد فوق نفسه من مزيد
أنا ترب الندى وربّ القوافي	وسامّ العدى وغيظ الصنود ^(٦)
أنا في أمة تداركها الله	غريب كصالح في ثمود ^(٧)

(١) نخلة : اسم موضع .

(٢) مسرودة : درع منسوجة .

(٣) لأمة : درع . فاضة : فضفاضة . أضاة : غدِير ، شبهها به لريقها . دلاص : برّاقة

لينة ملساء . داود : نبيّ الله داود عليه السّلام أوّل من صنع الدروع .

(٤) القنا : الرماح . البنود : الرايات .

(٥) غوذ : التجاء .

(٦) ترب المرء : من ولد في وقت قريب من وقت ميلاده .

(٧) كان في عصر المتني آلاف العلماء في كل مجال ، وشعراء كثيرون ، لكنّه لم يعترف

لغيره بأيّ فضل ، ولم يجد لنفسه أيّ ندّ ، وأحسّ بالغرّة ، ونسي جهاد النفس .

ولقد زاد إعجابه بنفسه مع الأيام ، حتى بلغ حدَّ الوهم والترحسية ، ولم يعد يقف لنفسه عند حجم ، فإذا هو يهجو كلَّ الناس :

أَقْلُ فَعَالِي بَلَّةٍ أَكْثَرَهُ مَجْدُ	وَذَا الْجَدِّ فِيهِ نِلْتُ أَمْ لَمْ أَتْلُ جَدُّ ^(١)
أَنْدُمُ إِلَى هَذَا الزَّمَانِ أَهْيَاكَ	فَاعْلَمُهُمْ قَدَمٌ وَأَحْزَمُهُمْ وَغَدُ ^(٢)
وَأَكْرَمُهُمْ كَلْبٌ وَأَبْصَرُهُمْ عَم	وَأَسْهَدُهُمْ فَهَذَ وَأَشْجَعُهُمْ قِرْدُ ^(٣)

ويقول :

أَيَّ مَحَلٍّ أَرْتَقِي	أَيَّ عَظِيمٍ أَتَقِي
وَكُلُّ مَا قَدْ خَلَقَ اللَّهُ	وَمَا لَمْ يَخْلُقْ
مُحْتَقِرٌ فِي هَمِّي	كُشْعَرَةٌ فِي مَقَرِّي

ويقول :

إِنِّي وَإِنْ لَمُنْتُ حَاسِدِيٍّ فَمَا	أُنْكِرُ أَنِّي عَقُوبَةٌ لَهُمْ
وَكَيْفَ لَا يُضْمَدُ امْرُؤٌ عَظَمَ	لَهُ عَلَى كُلِّ هَامَةٍ قَدَمٌ ^(٤)

(١) الفَعَال : الفعل الحسن . بلة : اسم فعل أمر بمعنى دع . الجِدُّ : الاجتهاد . الجَدُّ : الحظ .

(٢) قدم : عَيَّ غَيَّ . وغد : أحقق خميس .

(٣) الفَهْد : من أكثر الحيوانات نوماً .

(٤) العلم : الجبل . الهامة : الرأس .

مع سيف الدولة

كان المجد عند المتنبّي مُوطأً بسعة ما في اليد ، وذيوخ الاسم ، والسعي إلى
كرسيّ الحكم ، فتوجه من أجل ذلك إلى الأمراء بمدحهم ، فكان تَمَن مدحهم بدر بن
عَمّار ، وأبو العشائر ، وكان أبو العشائر الحمدانيّ على أنطاكية ، فوصله بأمره سيف
الدولة في حلب .

وكان في حلب جمهرة من الأقداد ، كابن جنّي ، وأبي علي الفارسي ، وابن
خالويه ، وأبي فراس .. فتعرّف عليهم ، وذاعت مدائحهم في سيف الدولة ، ولكنّ إيغاله
في الإعجاب بنفسه حول قلب الأمير - بعد مُدّة - عنه ، فلم يُعَدّ يوليه رعايته الأولى ،
وصوّر المتنبّي ذلك التّحايّ عنه بقصيدته :

أرى ذلك القُربَ صار ازورارا	وصار طويلاً السّلام اختصاراً ^(١)
تركتنيّ اليومَ في خجلةٍ	أموتُ مراراً وأحيا مراراً
ولي فيك ما لم يقلّ قللُ	وما لم يَمِرْ قمرٌ حيثُ سارا
فلو خُلِقَ الناسُ من دهرهم	لكاتوا الظّلامَ وكنّت النّهارا

واستمر سيفُ الدولة في انصرافه عنه ، واستمرّ هو يعاني آلامَ الهجر ،
ويبلغ به الأمر أن أفصح عن معاناته بهذه القصيدة العتائية :

واحرَ قلباه ممّن قلبه شُبمٌ	ومن بجسمي وحالي عنده سَقَمٌ ^(٢)
مالي أكتُمُ حبّاً قد برى جسدي	وتدّعي حبّاً سيف الدولة الأَمَمُ ^(٣)

(١) ازورارا : علول واخراف .

(٢) شُبم : برودة . شِم : بارد .

(٣) برى : أشغل وأضنى .

إِنْ كَانَ يَجْمَعُنَا حَبٌّ لِفَرْيِهِ
 قَدْ زُرَّتْهُ وَسِيُوفُ الْهِنْدِ مَغْدَةٌ
 فَكَانَ أَحْسَنَ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ
 يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إِلَّا فِي مَعَامِلَتِي
 أُعِيذُهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً
 وَمَا انْتِفَاعَ أَخِي الدُّنْيَا بِنَظَرِهِ
 أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْبِي
 أَنَامُ مِنْ غَفَوْنِي عَنْ شَوَارِدِهَا
 وَجَاهِلٍ مَدَّةً فِي جَهْلِهِ ضَحِكِي
 إِذَا نَظَرْتَ نِيُوبَ اللَّيْلِ بَارِزَةً
 فَالْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبِيدَاءُ تَعْرِفْنِي

فَلَيْتَ أَنَا بِقَدْرِ الْحَبِّ نَقْتَسِمُ^(١)
 وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالسِّيُوفُ دُمٌ
 وَكَانَ أَحْسَنَ مَا فِي الْأَحْسَنِ الثَّمِيمِ^(٢)
 فِيكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخِصْمُ وَالْحَكَمُ
 أَنْ تَحْسِبَ الثُّخَمَ فَيَمُنَ شَحْمُهُ وَرَمٌ
 إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ
 وَأَسْمَعْتَ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمٌ
 وَيَمْتَهَرُ الْخَلْقُ جَرَّاهَا وَيَخْتَصِمُ^(٣)
 حَتَّى أَتَتْهُ يَذْفِرَاسَةً وَقَمٌ^(٤)
 فَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ اللَّيْثَ مَبْتَسِمٌ
 وَالسَّيْفُ وَالرَّمْحُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ

يَا مَنْ يَعَزَّ عَلَيْنَا أَنْ نَفَارِقَهُمْ
 إِنْ كَانَ سِرْكَمَ مَا قَالَ حَاسِدُنَا
 وَبَيْنَنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذَاكَ مَعْرِفَةً
 كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا عِيْبًا فَيَعْجِزْكُمْ

وَجَدَانَا كُلَّ شَيْءٍ بِعَدِّكُمْ عَدَمٌ^(٥)
 فَمَا لَجَرَحٍ إِذَا أَرْضَاكُمْ أَلَمٌ^(٦)
 إِنْ الْمَعَارِفُ فِي أَهْلِ النَّهْيِ نِعَمٌ^(٧)
 وَيَكْرَهُ اللَّهُ مَا تَلْتَوْنَ وَالْكَرَمُ

(١) غِرَّة : طلعة . (٢) الثَّمِيم : السحايا الرفيعة .

(٣) الشوارد : الأشعار السائرة . جرَّاهَا : من أجلها . يقول الشعر الجيد وينام قرير

العين ، ويُشغل غيره به ، ويختلفون في مراده ، وفي مدى إصابته .

(٤) فَرَّاسَة : فُتَاكَة . (٥) وجدانا : وجودنا .

(٦) كَانَ الْحَسَادُ يَسْعَوْنَ بِأَبِي الطَّيِّبِ لَدَى الْأَمِيرِ ، وَيَشُونُ بِهِ ، حَتَّى أَوْغَرُوا عَلَيْهِ قَلْبَهُ ،

وَضَرَبَهُ بِمِفْتَاحٍ كَبِيرٍ فَشَحَّتْهُ . وَهُوَ يَشِيرُ إِلَى ذَلِكَ .

(٧) النَّهْيُ : جَمْعُ نَهْيَةٍ وَهِيَ الْعَقْلُ .

ما أبعد العيب والنقصان عن شرفي أنا الثريا وذان الشيب والهزم^(١)
 لكن تركن ضميراً عن ميامننا ليخذثن لمن ودعتهن ندم^(٢)
 إذا تركلت عن قوم وقد قدروا أن لا تفارقهم فالراحلون هم^(٣)
 شر البلاد مكان لا صديق به وشر ما يكيب الإنسان ما يصم^(٤)

مغادرته حلب

غادر المتنبّي حلب سنة ٣٤٦هـ ، وتوجّه إلى كافر في مصر ، وقلبه
 يكاد يتفطر ألماً من الوشاة الذين حولوا قلب سيف الدولة عنه ، ولم يخف عنه
 بعض همومه إلا تعزّيه بحزن أصدقائه عليه لما تركهم :

فراق ومن فارقت غير مذمم وأم ومن يمّنت خير ميمم^(١)
 وما منزل اللذات عندي بمنزل إذا لم أبجل عنده وأكرم^(٢)
 رحت فكم باك بأجفان شادن علي ، وكم باك بأجفان ضيغم^(٣)
 وما ربة القرط المليح مكانه بأزع من ربّ الحسام المصمم^(٤)
 فلو كان مابي من حبيب مقنع عذرت ، ولكن من حبيب معمم^(٥)

(١) الثريا : مجموعة من النجوم في السماء . ذان : اسم إشارة إلى العيب والنقصان .

(٢) ضمير : جبل قرب دمشق . تركن : الضمير يعود إلى الإبل .

(٣) يصم : يعيب ، يؤذي السمعة .

(٤) فارق سيف الدولة محمود ذكره عنده ، وقصد كافرًا ونعم المقصود . أم : قصد ،
توجّه إلى .

(٥) باك بأجفان شادن : كناية عن النساء اللاتي بكين لسفره . باك بأجفان ضيغم :
الرجال .

(٦) حبيب مقنع : النساء . حبيب معمم : سيف الدولة .

في مصر

رحل المتتبي إلى كافور الإخشيدي في مصر ، فأكرمه كافور ، وأحسن
مناواه ، وأعطى له داراً ، وخلع عليه ، وحمل إليه آلافاً من الدراهم ، فقال
يمدحه ، وكان ذلك سنة ٣٤٦ هـ :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً	وحصَبُ المنايا أن يكنْ أماتياً ^(١)
تمنيتها لما تمنيت أن ترى	صديقاً فاعياً أو عدواً مذاجياً ^(٢)
إذا كنت ترضى أن تعيش بذلة	فلا تستعدن الضمَامَ اليمانياً ^(٣)
حببتك قلبي قبل حبك من نأى	وقد كان عذاراً فكنْ أنتَ وافيأ ^(٤)
أقل اشتياقاً أيها القلب ربما	رأيتك تصفي الودَّ من ليس جازياً ^(٥)
خلقت ألوفاً لو رحلت إلى الصبا	لفارقت شيبى موجع القلب بالكيأ ^(٦)

(١) كفى بك : كفاك . أي كفاك من الأذى أنك صرت تمنى الموت .

(٢) تمنيتها : تمنيت المنايا . المداجي : المداوي ، السائر للعداوة . يفسر معنى الداء في
البيت الأول ، فلقد تمنى الموت لما حاول الظفر بصديق مصاف أو عدو مداح فلم
يضرّ بأي منهما .

(٣) لا تستعدن : لا تتخذ لك عدّة . إنما يتخذ السيف لرفع الدّل ، فإذا رضي بالذل
فماذا يصنع بالسيف اليماني ولماذا يعدّه ؟

(٤) حببتك : أحببتك . أحببتك يا قلبي قبل أن تحب أنت سيف الدولة ، فإنك إن أحببت
لم تكن وقياً لي : يعاتب قلبه على حنيه إلى من فارقه .

(٥) يأمر قلبه بالألّا يشناق إلى سيف الدولة الذي لم يجره على إخلاصه إخلاصاً مثله .

(٦) موجع : حال من التآ في فارقت .

ولكن بالفسقاط بحرأً أزرنة
وجردأً مداننا بين آذاتها القنا
قواصد كافور توارك غيره
أبا المسك ذا الوجه الذي كنت تالقأً
أبا كل طيب لا أبا المسك وحده
يدل بمعنى واحد كل فاجر
إذا كسب الناس المعالي بالندى
وغير كثير أن يزورك راجل

حياتي ونصحي والهوى والقوافيا
فبتن خفافاً يتبعن العواليا^(١)
ومن قصد البحر استقل المواقيا^(٢)
إليه وذا الوقت الذي كنت راجيا^(٣)
وكل صاحب لا أخص الغوايا^(٤)
وقد جمع الرحمن فيك المعانيا^(٥)
فإنك تغطي في نذاك المعاليا
فيرجع ملكاً للعراقيين واليا

ومن الواضح أن المتنبي لم يكن صادقاً في مدح كافور ، وإنما كان طامعاً
أن يوليه بعض البلدان ، وأن يتشقى في الوقت نفسه من خلال مدح كافور من
سيف الدولة ، ولقد كان كافور من الوعي على نحو لم تخف عليه أخطار تولية
المتنبي فعمله لا يؤمن أن يغير على أملاك سيف الدولة ، بل على أملاك كافور
نفسه ، فلما أن أبى كافور إيصاله إلى مبتغاه هجاه .

(١) جردأً : خيلاً . القنا : الرماح . العواليا : صدر الرماح .

(٢) قواصد وتوارك : جمع قاصدة وتاركة .

(٣) أبو المسك : كنية كافور

(٤) الغوايا : جمع غادية وهي السحابة التي تنتشر صباحاً .

(٥) يدل : يزهر .

مدحة في سيف الدولة

وَقَفْتَ وما في الموتِ شكٌ لو أقْبِ	كأنَّكَ في جَنِّ الرَّدَى وهو نائمٌ
تَمُرُّ بِكَ الأبطالُ كلَّمَى هزيمةً	ووجهُكَ وضاحٌ وتُعرِّكُ باسمِ
ضَمَمْتَ جناحيهم على القلبِ ضَمَةً	تَموتُ الخوافي تحتها والقوادمُ ^(١)
ولمستَ مليحاً هزماً لنظيره	ولكنَّكَ التوحيدُ للشُّركِ هازِماً
تُشرِّفُ عدنانَ به لا ربِيعَةً	وتفتخرُ الدنيا به لا العواصِمُ ^(٢)
لَكَ الحمدُ في الدَّرِّ الذي لِي لفظه	فإنَّكَ معطيه وإنِّي ناطقٌ

وهذه الأبيات من قصيدته :

على قَدَرِ أهلِ العِزِّمِ تَلْتَمِي العِزائمُ وتأتي على قَدَرِ الكرامِ المكارِمُ
وَمَنْ يطالعُ هذه القصيدة التي كاد فيها يؤلِّه سيف الدولة من فَرَطِ ما
بالغَ ، وسائرِ سِفِّيَّاته ، يتَّضح له بجلاء أَنَّهُ لم يُخلَصْ لكَافور ، ولا لأيِّ ممدوح
من قبل ولا من بعد كإخلاصه لسيف الدولة . بل إن مدحه لكَافور فوق ما فيه
من مبالغة يشتمل على تكلِّفٍ وغيثٍ وسوءِ طَوِيَّةٍ ، يقول في مدحه أخرى
لِكَافور :

إنَّما التهنُّتاتُ للأَكفاءِ	ولمَنْ يَدْنِي مِنَ البُعْداءِ ^(٣)
وأنا منك لا يَهْنئُ عضوٌ	بالمصِراتِ سِوَى الأَعْضاءِ ^(٤)

-
- (١) جناح الجيش : ميمته وميسرته . القوادم : عشر ريشات في مقدِّم جناح الطائر .
الخوافي : ما تحتها . أي أَنَّهُ أهلكهم جميعاً .
(٢) ربِيعَة : قبيلة سيف الدولة . العواصم : أنطاكية وما حولها .
(٣) يَدْنِي : يقترِب . يَهْنئُه عندما ابتنى داراً .
(٤) الملتني - بزعمه - و كافرور كالشخص الواحد .

أَتَتِ أَعْلَى مَحَلَّةً أَنْ تَهْتَا
تَفَضَّحَ الشَّمْسَ كُلَّمَا ذُرَّتِ الشَّمْسُ
إِنْ فِي ثَوْبِكَ الَّذِي الْمَجْدُ فِيهِ
إِنَّمَا الْجِلْدُ مُلْبَسٌ وَابْيَضَاضُ النَّفْسِ
كَرَمٌ فِي شَجَاعَةٍ ، وَفَكَاءُ
مَنْ لِبِيضِ الْمُلُوكِ أَنْ تَبْدِلَ اللَّوْنُ
وَلَقَدْ أَفْنَتِ الْمَفَاوِزَ خَيْلِي
فَارَمَ بِي مَا أُرْنَتْ مَنِي فَبَقِي
وَفَوَّادِي مِنَ الْمُلُوكِ وَإِنْ كَا

بِمَكَانٍ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي السَّمَاءِ
بِشَّمْسٍ مِنْبِرَةٍ سَوْدَاءِ
لَضِيَاءٍ يُزْرِي بِكُلِّ ضِيَاءٍ^(١)
مِنْ خَيْرٍ مِنْ ابْيَضَاضِ الْقَبَاءِ^(٢)
فِي بَهَاءٍ ، وَقَدَرَةٌ فِي وَفَاءِ
نَ بِلَوْنِ الْأَسْتَفْ وَالْمُسْحَاءِ^(٣)
قَبِيلُ أَنْ تَلْتَقِي وَزَلَدِي وَمَقِي^(٤)
أَسَدَ الْقَلْبِ أَدْمِي الرُّوَاءِ^(٥)
نَ لِسَاتِي يَرَى مِنَ الشَّعْرَاءِ

هجاؤه لكافور

لَمَّا يَتَسَّ الْمَتْنِي مِنْ تَوَلِيهِ كَافُورٌ لَهُ انْقَلَبَ يَهْجُوهُ ، وَيَرْمِيهِ بِالْحِسَّةِ وَالْعُدْرِ
وَالْكَذِبِ ، وَيَعْبِرُهُ بِلَوْنِهِ تَعْبِيرًا يَنْمُ عَلَى تَكْبَرٍ وَاسْتِعْلَاءٍ لَدَى الْمَتْنِي ، وَضَعْفٍ فِي
النَّزْعَةِ الْإِنْسَانِيَةِ الرَّاشِدَةِ الَّتِي مَهْمَا أُسْرِفَتْ فِي ابْتِدَاعِ قِيمِ الْمَدْمَةِ فَإِنَّهَا تُبْقِي اللَّوْنَ
فِي مَنْجَاةٍ عَنْ أَنْ يَكُونَ مَعْيَارًا يُقَلَّدُ بِمَكْيَالِهِ وَضَعُ النَّاسِ . وَمِنْ أَشْهُرِ مَا هَجَا بِهِ
كَافُورًا هَذِهِ الْقَصِيدَةُ الَّتِي قَالَهَا عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنْ مِصْرَ سَنَةِ ٣٥٠ هـ :

(١) يُزْرِي : يَسْتَهِين .

(٢) الْقَبَاءُ : الْقَمِيصُ ، الثَّوْبُ .

(٣) السَّحَاءُ : الْهَيْئَةُ .

(٤) الْمَفَاوِزُ : جَمْعُ مَفَازَةٍ ، وَهِيَ الْغَلَاةُ .

(٥) الرُّوَاءُ : الْمَنْظَرُ .

بما مضى أم لأمر فيك تجديد^(١)
 فليت دونك بيداً دونها بيد
 وجناء حرقاً ولا جرداء قيدود^(٢)
 أني بما أنا شاك منه محسود
 أنا القسي وأموالي المواعيد^(٣)
 عن القرى وعن الترحال محدود^(٤)
 من اللسان فلا كاتوا ولا الجود
 إلّا وفي يده من ننتها عود
 أو خاله قلّة في مصر تمهيد
 فالحر مستعبد والعبد معبود^(٥)
 فقد بثمن وما تفنى العناقيد^(٦)
 لو أنّه في ثياب الحر مولود
 إنّ العبيد لأجاس مناكيد^(٧)

عيد بأية حال عذت ياعيد
 أما الأحبة فالبيداء دونهم
 لولا الغلا لم تجب بي ماأجوب بها
 ماذا لقيت من الدنيا وأعجبه
 أمسيت أروح مثر خازناً ويداً
 إنني نزلت بكذابين ، ضيفهم
 جود الرجال من الأيدي وجودهم
 ما يقبض الموت نفساً من نفوسهم
 أكلما اغتال عبد الموء سيده
 صار الخصي إمام الأيقين بها
 نامت نواظير مصر عن ثعلبها
 العبد ليس لحر صالح بأخ
 لا تشتتر العبد إلّا والعصا معه

(١) أعاد العيد وقد تحسنت حاله أم عاد وهو على حاله من اليأس عندما لم يظفر بآماله

في مصر ؟

(٢) تجوب : تقطع . وجناء : ناقة عظيمة صلبة . حرف : ضامرة . جرداء : فرس قصيرة

الشعر . قيدود : طويلة الظهر .

(٣) أروح : من الراحة . أصبح غنياً ولكن خازنه ويده في راحة من أعباء الشراء ، لأن ثروته قائمة على مواعيد كافور الوهميّة .

(٤) محدود : ممنوع .

(٥) أبق العبد : هرب من سيده .

(٦) نواظير : حراس . يخرض أهل مصر على الثورة .

(٧) منكود : تعيس مشؤوم .

ما كنتُ أحسبني أحيا إلى زمنٍ
 ولا توهمتُ أن الناس قد فقدوا
 وأن ذا الأسود المثقوب مشفرة
 جوعان يأكل من زادي ويمسكني
 ويلمها خطئةً ويلم قائلها
 وعندها لذ طعم الموت شاربهُ
 من علم الأسود المخصي مكرمةً
 أم أذنه في يد النخاس دامية
 أولى اللئام كويفير بمعذرة

يُسمي بي فيه عبدٌ وهو محمود
 وأن مثل أبي البيضاء موجود^(١)
 تطيعه ذي العضاريط الرعايد^(٢)
 لكي يقال عظيم القدر مقصود
 لمثلها خلق المهرية القود^(٣)
 إن المنية عند الذل قنديد^(٤)
 أقوم البيض أم أباه الصيد^(٥)
 أم قدره وهو بالفلسين مردود
 في كل لؤم وبعض العذر تفنيد^(٦)

(١) كناه أبا البيضاء استهزاء .

(٢) العضاريط : جمع عضروط ، وهو الذي يخدم الناس بطعام بطنه . الرعيد : الجبان .

(٣) ويلمها : كلمة تقال عند التعجب ، أصلها : وي لأمرها . خطئة : تميز . المهرية :

الإبل . القود : الطويلة . ما أعجب هذه الحال . وما أعجب من يقبلها ، وإنما خلقت الإبل للفرار من مثلها .

(٤) القنديد : عصارة قصب السكر إذا جمد ، والخمر .

(٥) الصيد : الملوك .

(٦) تفنيد : لوم ، وتضعيف للرأي .

كل ذلك لأن كافوراً الحكيم لم يُجب المتنبي حين سأله ولاية في صيدا
أو في صعيد مصر ، مع إلحاح المتنبي في السؤال ، ورأينا إلماحه بذلك فيما
سبق ، وهو بادٍ في مثل قوله أيضاً :

أمولاي هل في الكأس فضل أناله فإني أغني منذ حين وتَشْرَبُ

وقوله :

قالوا هجرت إليه الغيث قلت لهم إلى غيوث يديه والشآبيب^(١)
إلى الذي تهبّ الدّولات راحته ولا يمن على آثار موهوب

وما من شك في أنّ المتنبي قسا على كافور ، وألبسه من الصفات
الجسمية والنفسية ما ليس فيه .

(١) الشآبيب : خيوط المطر .

نهاية المتنبي

غادر المتنبي مصر سنة ٣٥٠هـ ، فقصده العراق وخراسان ، ومدح ابن العميد وعضد الدولة البويهى ، ونال عطايا كثيرة وخلال أوبته إلى بغداد خرج عليه فاتك الأهلى ، وكان المتنبي قد هجا ابن أخته ضبة بن يزيد ، وأمه - اخت فاتك - فقتله ، وذبح دمه هنراً ، وكان مقتله يوم الأربعاء في الثامن والعشرين من رمضان سنة ٣٥٤هـ